دراسة كتاب غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للشيخ محمد السفاريني (١١١٤ ـ ١١٨٨)

مروان قدومي

يهدف هذا البحث إلى إبراز دور العالم محمد السفاريني الذي كان من العلماء المشهورين بالعفة والصيانة في الدين، وصاحب تصانيف كثيرة وتآليف شهيرة، ومنها كتابه "غذاء الألباب" المذكور فهو مؤلف جيد، اشتمل على السبب الباعث له على تأليفه حيث جمعه من أكثر من ثلثمائة كتاب.

تناول في المقدمة ذكر ترجمة الناظم، وشرع في ذكر عناوين الكتاب، وذيل الكثير من هذه العناوين بذكر فوائد وتنبيهات مفيدة في بعض الأحكام الفقهية، والآداب الاجتماعية بالإضافة إلى الشرح الوافي للمنظومة.

وقد برزت في هذا الكتاب جوانب المؤلف الفكرية والثقافية والعلمية إلى جانب شموله لمباحث فقهية هامة تتعلق بالعبادات والمعاملات والأحوال الشخصية.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: يهدفُ هذا البحث إلى إبراز دور العالم الفلسطيني الفذ شيخ الحنابلة في الديار النابلسية محمد السفاريني (أبو العون) صاحب التآليف الكثيرة والتصانيف الشهيرة ، وقد ترجم لعالمنا المذكور ابن الشطي في كتابه مختصر طبقات الحنابلة ، والمرادي في كتابه سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر وصاحب كتاب النعت الأكمل وغيرهم من أصحاب التراجم .

وفي رأيي أن دراسة المؤلفات تتمم الصورة الحقيقية للمؤلف، وتبرز جوانب الإبداع لديه. وتُظهر شخصيته العلمية .

لقد عكف عالمنا على كتبِ المتقدمين دراسةً وشرحاً وتلخيصاً وزيادةً وتوضيحاً بما وسعه الجَهد . والكتاب الذي نحن بصدد بحثه (غذاء الألباب شرح منظومة الآداب)، هو ضمن هذا المنحى من التأليف ، وأسهم عالمنا أيضا في الإنتاج والإبداع والأصالة والابتكار في التأليف فكان من العلماء البارزين الذين حملوا راية العلم والمعرفة ، فشارك في شتى العلوم والفنون . والى جانب نشاطه العلمي والثقافي والفكري كان له دور كبير في الجهر بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كان رحمه الله من المشايخ المشهورين بالعفة والصيانة في الدين والفضائل والصلاح والزهد في الدنيا معرضاً عنها متعففا ورعا قانعاً صبورا جسوراً على رَدع الظالمين وزجر المفترين ، وشغل وقته بالطاعة والأعمال النافعة ، والخدمات الجليلة في أوجه البر المختلفة.

وتدريس العلم ونشره بالتعليم والتأليف والإنتاج. وقد أثنى العلماء على مؤلفاته بالجودة والإتقان والتحرير وسَعة العلم وغزارة المادة والدّقة في التعبير والاختصار .

ومن أبرز مؤلفاته وأشهرها وأجلّها هو كتابه "غذاء الألباب شرح منظومة الآداب" فقد أثنى عليه العلماءُ بأنه أحسن شروح المنظومة وأوسعها وأدقها معلومات وفوائد وأغزرها مادة ، فهو كتاب عظيمٌ في بابه. فقد أبدع فيه مؤلفه فأبان فيه الكثير من المسائل والموضوعات التي تدل على عُلوِّ كَعبه ورسوخ قدمه في العلوم.

وهو مؤلف جيد بدأه بمقدمه اشتملت على السبب الباعث له على تأليف هذا الكتاب فذكر أن أسباب شرحه لمنظومة الآداب هو سؤال بعض الإخوان والأحبة والأخدان ممن له في العلم رغبة أن يشرح المنظومة، وبعد الوعد بمدة تزيد على ثلاث سنين ، يقول المصنف: شرعت في الشرح والتبين وجمعته من اكثر من ثلثمائة كتاب التي نقلت منها. وبحسب مواد أصلها تزيد على الألوف.

ثم تناول في المقدمة أيضا ذكر ترجمة الناظم وهو محمد بن عبد القوي بن بدران بن عبد الله المرداوي تلميذ شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله.

وبعد أن فرغ المؤلف من المقدمة،شرع في ذكر عناوين الكتاب ، وذيل الكثير من هذه العناوين بذكر فوائد وتنبيهات مفيدة في بعض الأحكام الفقهية والآداب الاجتماعية بالإضافة إلى الشرح الوافي للمنظومة، وكثيرا ما يرجح مذهب الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله –، ويذكر الروايات المتعددة فيه.

وما أدري أن كان تمذهبه هذا هو الذي غلب عليه في دعم هذا المذهب ، وهو غير مَعيب إن كان القصد إظهار الحق، أم لأنه سار على نهج صاحب المنظومة، وعلى أية حال فإن هذا المذهب قد انتشر وذاع صيته خلال تلك الفترة في الديار النابلسية، وتمذهب به كثير من الناس. والواقع أن هذا المذهب له انتشار واسع في الديار الفلسطينية وخاصة مدينة نابلس حيث يوجد مسجد في مركز المدينة اسمه المسجد الحنبلي، وهو المسجد الوحيد الذي يوجد فيه شعرات للرسول صلى الله عليه وسلم يراها رواد المسجد في شهر رمضان المبارك من كل عام.

والله أسأل أن يتولانا بعونه، وأن يغفر لنا فيما فرطنا فيه، وأن يجنبنا الخطأ والزلل، إنه سميع مجيب.

د. مروان علي قدومي

"العلامة الشيخ محمد السفاريني"

سيرته: هو محمد بن سالم بن سليمان السفاريني الشهرة والنابلسي المولد، الحنبلي، الشيخ الإمام، والحبر البحر الهمام، العالم العامل، صاحب التآليف الكثيرة والتصانيف الشهيرة، أبو العون شمس الدين خاتمة الحنابلة في الديار النابلسية.

كان مولده بقرية سفارين من قرى نابلس سنة ١١١٤هـ ونشأ بها وتلا القرآن العظيم ثم رحل منها إلى دمشق لطلب العلم ، فقرأ على المتصدرين آن ذاك بها من الأئمة ، وأخذ الفقه والتفسير والحديث عنهم فانتفع ونفع وساد وبرع وبعد أن امتلأت صدفته بجواهر العلوم وطفح حوضه بماءِ الفهوم رجع من دمشق إلى قرية سفارين واستقام بها مدة ثم ارتحل منها إلى مدينة نابلس وتوطنها إلى وفاته.

وكان- رحمه الله تعالى-جليلا جميلاً صاحب سمت ووقار ومهابة واعتبار ، وكان كثير العبادة والأوراد ملازما على قيام الليل ودائما يحث الناس عليه، وكانت مجالسه لا تخلو من فائدة وكان يشغل أوقاته بالإفادة والاستفادة. وكان صادعاً بالحق لا يماري فيه ولا يهاب أحداُ بل كان يهابه الجميع من أعيان بلده وأمرائها يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان خيرا جوادا لا يقتني شيئا من الأمتعة والأسباب الدنيوية سوى كتب العلم فإنه كان حريصاً على جمعها ، وعاش مدة عمره في بلده عزيزا موقراً متحشما وألف التآليف العديدة، وصنف الأجوبة السديدة ، فمن تأليفه كتاب غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ، وهو (الذي نحن بصدد دراسته) وغيره من الكتب المتعددة، وكذا الفتاوى التي كتب عليها الكراس والأقل والأكثر فكثيرة ولو جمعت لبلغت مجلدات وبالجملة فقد كان غرة عصره وشامة مصره لم يظهر في بلاده بعده مثله ، وكان يدعي للملمات، ويقصد لتفريج المهمات ، ذا رأي صائب ، وفهم ثاقب، جسورا على ردع الظالمين وزجر المفترين، إذا رأى منكراً أخذته رعدة وعلا صوته من شدة الحدة ، وإذا سكن غيظه وبرد قيظه يقطر رقة ولطافة وحلاوة وظرافة. وله الباع الطويل في علم التاريخ وحفظ وقائع الملوك والأمراء والعلماء والأدباء، وكان يحفظ من أشعار العرب العرباء والمولّدين شيئا كثيرا ، وله شعر لطيف.

توفي في نابلس في شوال ١١٨٨ هـــ ودفن من يومها في تربتها الشمالية- رحمه الله- وجزاه عن الإسلام خيرا[١] .

دراسة الجزء الأول من الكتاب

بدأ كتابه بالكلام على البسملة وعلى الحمد والشكر :

وذكر أن أفضل صيغ الحمد : الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده ، وفي السنن عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطست فقلت: الحمد لله حمداً كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى. فقال صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لقد ابتدرها بضعة وثلاثون ملكاً أيهم يصعدها " قال الترمذي : حديث حسن.

❋ **معنى صلاة الله على نبيه صلى الله عليه وسلم :**

والصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن الآدميين التضرع والدعاء بخير. وقيل صلاة الله مغفرته . وقيل صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه عند ملائكته. وأما صلاة الملائكة والآدميين فهي سؤالهم الله أن يفعل ذلك به، ويكون تسمية العبد مصلياً لوجود حقيقة الصلاة منه فإن حقيقتها الثناء وإرادة الإكرام والتقرب وإعلاء المترلة والإنعام ، فهو حاصل من العبد، غير أنه يريد ذلك من الله عز وجل، والله جل شأنه يريد ذلك من نفسه أن يفعله برسوله.

❋ **نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق.**

ولا شك أنه صلى الله عليه وسلم خير الخلائق تفصيلاً وجملاً. قال ابن عباس رضي الله عنهما : "ما خلق الله خلقاً ولا برأه أحب إليه من محمد صلى الله عليه وسلم" .

*فضل الابتداء بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : " كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة علي فهو أقطع أبتر ممحوق البركة"[١].

---

[١] جميل الشطي : مختصر طبقات الحنابلة ص ١٢٧ - ١٣٠ ، دمشق، مطبعة الترقي ١٣٣٩ هـــ.
المرادى : سلك الدُّرر في أعيان القرن الثاني عشر ج ٤ ص ٣١، بيروت ط ٣ ١٩٨٨ .

❋ **عدد الصحابة الكرام:**

ذكر أن عدد الصحابة الكرام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وقد جزم بهذا العدد جلال السيوطي في الخصائص الصغرى.

❋ **مطلب أول من نطق بأما بعد:**

واختلف في أول من نطق بها، فقيل داود عليه السلام وعن الشعبي أنها فصل الخطاب الذي أوتيه داود. وقيل يعقوب عليه السلام. وقيل يعرب بن قحطان. وقيل كعب بن لؤي .

❋ **مطلب الناس في الأدب على طبقات:**

الناس على طبقات: أهل الدنيا، وأهل الدين، وأهل الخصوص. فأدب أهل الدنيا الفصاحة والبلاغة، وتحصيل العلوم وأخبار الملوك، وأشعار العرب، وأدب أهل الدين مع العلم رياضة النفس وتأديب الجوارح، وتهذيب الطباع، وحفظ الحدود، وترك الشهوات، وتجنب الشبهات. وأدب أهل الخصوص حفظ القلوب ورعاية الأسرار، واستواء السر والعلانية.

❋ **مطلب: مراتب التعلم ستة، وحرمان العلم بستة:**

واعلم أن للتعلم ستة مراتب:

أولها: حسن السؤال. ثانيها: حسن الإنصات والاستماع. ثالثها: حسن الفهم. رابعها: الحفظ. خامسها: التعلم. سادسها وهي الثمرة: العمل به ومراعاة حدوده.

وحرمان العلم يكون بستة أوجه:

أولها: ترك السؤال. الثاني: سوء الإنصات وعدم إلقاء السمع. الثالث: سوء الفهم. الرابع: عدم الحفظ. الخامس: عدم نشره وتعليمه، فمن خزن علمه و لم ينشره ابتلاه الله بنسيانه جزاء وفاقا. السادس: عدم العمل به فإن العمل به يوجب تذكره وتدبره ومراعاته والنظر فيه.

---

[1] أبو داود، الهيثمي: موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان ج ص ٢٥٣

❋ **مطلب يراد للعالم عشرة أشياء:**

يراد للعالم عشرة: الخشية، والنصيحة، والشفقة، والاحتمال، والصبر، والحلم، والتواضع، والعفة عن أموال الناس، والدوام على النظر في الكتب، وترك الحجاب بل يكون بابه للشريف والوضيع.

❋ **مطلب لزكاة العلم طريقان:**

واعلم أن لزكاة العلم ونحوه طريقين، أحدهما: تعليمه للعالم؛ فإن الله سبحانه وتعالى ينميه ويكثر علمه بذلك ويزكيه. والثاني: العمل به، فإن العمل به أيضا ينميه، ويفتح لصاحبه أبوابه وخباياه[1].

❋ **مطلب القلوب ثلاثة:**

واعلم أن القلوب ثلاثة: قلب خال من الإيمان وجميع الخير فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه، لأنه قد اتخذه بيتا ووطنا وتحكم فيه بما يريد، وتمكن منه غاية التمكن.

الثاني قد استنار بنور الإيمان وأوقد فيه مصباحه، لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية، فللشيطان هناك إقبال وإدبار، ومجالات ومطامع، فالحرب دول وسجال.

الثالث قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان، وانقشعت عنه حجب الشهوات، وأقلعت عنه تلك الظلمات، فلنوره في صدره إشراق، وإيقاد لودنا منه الوساوس لأدركه الاحتراق، فهو كالسماء المحروسة بالنجوم فليس عليه سلطان ولا هجوم.

❋ **مطلب في ذكر طرف من آفات اللسان:**

في ذكر طرف من آفات اللسان وهي كثيرة جدا منها الكلام فيما لا يعني، ومعنى الذي لا يعنيه لا تتعلق عنايته به ولا يكون من مقصده ومطلوبه. حديث "من حسن إسلام المرء

[1] عن أبي الدرداء قال:"لا تكون عالمنا حتى تكون متعلما، ولا تكون بالعلم عالما حتى تكون به عاملا". روضة العقلاء ونزهة الفضلاء للبستي، ص ٣٥٠.

تركه ما لا يعنيه". فالمراد بتركه ما لا يعني من المحرمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها.

ومنها كثرة الكلام، قال عمر رضي الله عنه: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به[1].

ومنها الكذب، وهو من الآفات العظام والذنوب الجسام، والبذاذة، وشهادات الزور وقول الفجور. ومنها القذف، وهو من الموبقات.

❋ **مطلب في فوائد غض البصر:**

(الأولى): تخليص القلب من الحسرة فإن من أطلق نظرة دامت حسرته، فأضر شيء على القلب إرسال البصر، فإنه يريه ما لا سبيل إلى وصوله ولا صبر له عنه وذلك في غاية الألم.

(الثانية): إن غض الطرف يورث القلب نورا وإشراقا يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورث ذلك ظلمة وكآبة.

(الثالثة): يورث صحة الفراسة فإنها من النور وثمراته، فإذا استنار القلب صحت الفراسة، فلما حبس بصره له تعالى، أطلق له بصيرته جزاء وفاقا.

(الرابعة): أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه وذلك سبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات وانكشفت له بسرعة، ونفذ من بعضها إلى بعض.

(الخامسة): أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل الله له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة .

(السادسة): أنه يورث القلب سروراً وفرحة أعظم من الالتذاذ بالنظر، وذلك لقهره عدوه وقمع شهوته ونصرته على نفسه.

---

[1] عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار. أبعد ما بين المشرق والمغرب". مسلم. صحيح مسلم، ج٤ ص٢٢٩٠، ٢٩٨٨ باب حفظ اللسان.

(السابعة): أنه يخلص القلب من أسر الشهوة، فلا أسر أشد من أسر الشهوة والهوى، قد سلب الحول والقوة، وعز عليه الدواء.

(الثامنة): أنه يسد عنه بابا من أبواب جهنم، فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل.

(التاسعة): أنه يقوي عقله ويثبته ويزيده، فإرسال البصر لا يحصل إلا من قلة في العقل، وطيش في اللب، وخور في القلب، وعدم ملاحظة للعواقب، فإن خاصة العقل ملاحظة العواقب.

(العاشرة): أنه يخلص القلب من سكرة الشهوة ورقدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة، ويوقع في سكرة العشق.

❋ مطلب في حكم الغناء:

(وحظر) أي منع (الغناء) بالمد الأكثرون من علمائنا وغيرهم، أي حكموا بحظره وحرمته لأنه ينبت في القلب النفاق[1]. ثم ذكر قول الإمام مالك-رحمه الله ورضي عنه- إنما يفعله عندنا الفساق. وتواتر عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال: خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن.

وأباحه الإمام أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء مع الكراهة (مكروهاً كراهة تنـــزيه)، حيث يقول: ويكره الغناء واستماعه بلا آلة لهو ويحرم بآلة.

وجزم الإمام المحق ابن القيم في إعانة اللهفان بحرمة الغناء، وقال انه من مكائد الشيطان ومصائده التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين، وقال انه المكاء والتصدية. ومراده والله أعلم بهذه العبارة حيث اقترن بآلة لهو محرمة.

---

[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صل الله عليه وسلم :" إن الغناء ينبت النفاق في القلب" ابن حجر: تلخيص الحبير٤ \٢١٩

❋ مطلب في بيان حكم الغناء واستماعه عند الأئمة الأربعة:

أما مالك فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه، وقال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له أن يردها بالعيب. وسئل مالك عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء، فقال إنما يفعله عندنا الفساق.

وأما أبو حنيفة فإنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب، وكذلك مذهب أهل الكوفة.

ويقول الإمام ابن القيم في إغاثة اللهفان: مذهب أبي حنيفة في ذلك من أشد المذاهب، وقوله فيه أغلظ الأقوال، وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها كالمزمار والدف حتى الضرب بالقضيب، وصرحوا أنه معصية توجب الفسق وترد به الشهادة، وأبلغ من ذلك قالوا إن السماع فسق والتلذذ به كفر.

وأما الإمام الشافعي فقال في كتاب أدب القضاء: إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال، من استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته. وصرح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه.

وأما مذهب الإمام أحمد فقد نص في أيتام ورثوا جارية مغنية فأرادوا بيعها، فقال لا تباع إلا على أنها ساذجة، فقالوا إذا بيعت ساوت عشرين ألفا ونحوها، وإذا بيعت ساذجة لا تساوي ألفين، فقال لا تباع إلا على أنها ساذجة، فلو كانت منفعة الغناء مباحة لما فوت هذا المال على الأيتام.

تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم الصريح لآلات اللهو والمعازف:

عن عبد الرحمن بن غنم قال حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري رضي الله عنهما سمع رسول الله صل الله عليه وسلم يقول:" ليكوننّ من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف"[1].

❋ مطلب في التودد إلى الناس وأنه مستحسن شرعا وطبعا.

التودد إلى الناس مطلوب شرعا مستحسن طبعا. قال تعالى:" ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك..."[1]، "ادفع بالتي هي أحسن"[2]

[1] البخاري: صحيح البخاري ج٦ ص٢٤٣

إن النفاق إبطان الشر وإظهار الحسن لإيقاع الشر المضمر، ومن أظهر الجميل والحسن في مقابله القبيح ليزول الشر فليس بمنافق لكنه يستصلح، ألا تسمع إلى قوله تعالى:" فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم"[٣]

فهذا اكتساب استماله ودفع عداوة وإطفاء لنيران الحقائد، واستنماء الود وإصلاح العقائد. فهذا طلب المودات واكتساب الرجال.

❋ مطلب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

قال في الآداب الكبرى: الأمر بالمعروف وهو كل ما يؤمر به شرعا، والنهي عن المنكر وهو كل ما ينهى عنه شرعا، فرض عين على من علمه جزما وشاهده وعرف ما ينكر و لم يخف سوطا ولا عصى ولا أذى. من اعظم منافع الإسلام وآكد قواعد الأديان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتناصح، فهذا أشق ما يحمله المكلف لأنه مقام الرسل حيث ينقل صاحبه عن الطباع، وتنفر منه نفوس أهل اللذات، وتمقته أهل الخلاعة وهو إحياء للسنن وإماتة للبدع.

❋ مطلب هل يشترط للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رجاء حصول المقصود أو لا؟

على روايتين عن الإمام أحمد رضي الله عنه: الوجوب ونقل عكسه. قال في نهاية المبتدئين: وإنما يلزم الإنكار إذا علم حصول المقصود و لم يقم به غيره، وعنه إذا رجا حصوله، وقيل ينكره وإن أيس من زواله وخاف أذى أو فتنة. وقد قيل لبعض السلف في هذا فقال يكون لك معذرة، وهذا كما أخبر الله تعالى عن الذين على المعتدين في السبت أنهم قالوا لمن قال لهم"لما تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون"[٤].

---

[١] سورة آل عمران أية رقم ١٥٩

[٢] سورة فصلت آية رقم٣٤

[٣] سورة فصلت آية رقم ٣٤

[٤] سورة الأعراف آية رقم ١٦٤

❋ **مطلب في مراتب الإنكار:**

وأضعفه بالقلب ثم لسانه وأقواه إنكار الفتى الجلد باليد

(وأضعفه) أي أضعف مراتب الإنكار ويكون (بالقلب) دون اللسان واليد فالأخبار والأحاديث دلت على وجوب إنكار بحسب الإمكان والقدرة عليه، وان الإنكار بالقلب لا بد منه، فمن لم ينكر قلبه المنكر دل على ذهاب الإيمان من قلبه[1].

❋ **مطلب يجب على الآمر بالمعروف أن يبدأ بالرفق:**

(وبالأسهل) أي الألين من السهل ضد الحزن(ابدأ) أيها الآمر الناهي لتفوز بفضيلة ما قمت به وفضيلة الاتباع في سهولة الأخلاق والانطباع فإن الإنسان ينفعل للرفق ما لا ينفعل للعنف، يعني أنه يجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يبدأ بالرفق ولين الجانب، سواء كان المنكر عليه مسلما أو ذميا.

ثم إن لم يزل المنكر الواجب إنكار زد على الأسهل بأن تغلظ له القول بقدر إزالته، فإن لم ينفع أغلظ فيه بالزجر والتهديد، فإن زال فقد حصل المقصود الذي هو إقامة الدين، ونصرة الشرع المبين، وزوال المنكر والشين، وإحياء سنة سيد المرسلين (فإن لم يزل) المنكر بذلك فامنعه واصرفه بنافذ الأمر الذي هو السلطان أو نائبه.

❋ **مطلب في إتلاف آلة التنجيم والسحر :**

ولا غرم في إتلاف (آلة تنجيم) لأنه علم باطل وحدس عاطل مبناه على الحدس والتخمين لا علم العلم واليقين لم ترد به الشريعة الغراء، وإنما يلهج به من لا خلاق له ولا نصيب من الدين بحرا وبرا. وقد أنكر أئمة الإسلام ونصوا على بطلانه وحرمته، فهو من أشد الحرام. ولا غرم أيضا في إتلاف آلة(سحر) لأنه من أكبر الكبائر.

---

[1] يقول عليه الصلاة والسلام:"يا أيها الناس مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم..." رواه الأصبهاني عن ابن عمر(الترغيب والترهيب:٣/٢٣٠)

❋ **والمعتمد في المذهب كفر الساحر:**

قال في الإقناع : وتحريم تعلم السحر وتعليمه وفعله، وهو عقد ورقي وكلام يتكلم به او يكتبه أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له. وله حقيقة، فمنه ما يقتل وما يمرض. الكاهن الذي روى من الجن يأتيه بالإخبار، والعراف الذي يحدس ويتخرص كالمنجم[1].

❋ **مطلب في هجر من أعلن بالمعاصي:**

يسن هجر من جهر بالمعاصي الفعلية والقولية والاعتقادية. وقيل يجب إن ارتدع به، وإلا كان مستحبا . وقيل: يجب هجرة مطلقا إلا من السلام بعد ثلاثة أيام. وقيل ترك السلام على من جهر بالمعاصي حتى يتوب فرض كفاية، ويكره لبقية الناس تركه.

وقال شيخ الإسلام: إن المستتر بالمنكر ينكر عليه ويستر عليه، فإن لم ينته فعل ما ينكف به إذا كان أنفع به في الدين. وإن المظهر للمنكر يجب الإنكار عليه علانية، ولا تبقى له غيبة، ويجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك. وينبغي لأهل الخير أن يهجروه ميتا إذا كان فيه كف لأمثاله فيتركون تشييع جنازته.

❋ **مطلب للمسلم على المسلم:**

مما للمسلم على المسلم أن يستر عورته، ويغفر زلته، ويرحم عبرته ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافي صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته ويشمت عطسته، ويرد ضالته، ويواليه ولا يعاديه، وينصره على ظالمه، ويكفه عن ظلم غيره، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحب له ما يحب لنفسه.

---

[1] ثبت في الحديث ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليله" رواه مسلم: صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧٥١ رقم الحديث(٢٢٣٠)

❋ **مطلب فيمن يجب عليه رد الإسلام ومن لا يجب:**

يكره السلام على جماعة، منهم المتوضي، ومن في الحمام، ومن يأكل، أو يقاتل، وعلى تال، وذاكر، وملب، ومحدث، وخطيب، وواعظ، وعلى مستمع لهم ومكرر فقه، ومدرس، وباحث في علم، ومؤذن ومقيم، ومن على حاجته، ومتمتع بأهله، أو مشتغل بالقضاء، ونحوهم. فمن سلم في حالة لا يستحب فيها السلام لم يستحق جوابا.

ويحرم أن يرد وهو في الصلاة لفظا وتبطل به، ويكره إشارة قدمها في الرعاية.

ويجوز السلام على الصبيان تأديبا لهم.

❋ **مطلب في قول الرجل لصاحبه كيف أصبحت وكيف أمسيت**

فوائد:

الأولى: لا بأس أن يقول لصاحبه كيف أمسيت وكيف أصبحت. فقد روى عبد الله بن الإمام أحمد رضي الله عنه عن الحسن مرسلا أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال لأصحاب الصفة:"كيف أصبحتم" بخير نحمد الله.

الثانية: مطلب في كراهية قولهم أبقاك الله.

عن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قال: رأيت أبي إذا دعي له بالبقاء يكرهه ويقول هذا شيء قد فرغ منه.

الثالثة: مطلب في كراهية قولهم أطال الله بقاءك انه دعاء محدث فهو مكروه لعدم الورود.

الرابعة: مطلب في كراهية قولهم في السلام جعلت فداك . قال الخلال كراهية قوله في السلام جعلت فداك.

وأجاز بعضهم ذلك لما رواه عبد الله بن عمرو انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: جعلني الله فداك.

القيام يقع على أربعة أوجه:

الأول: محظور، وهو أن يقع لمن يريد أن يقام له تكبرا وتعظيما على القائمين إليه.

والثاني: مكروه، وهو أن يقع لمن لا يتكبر ولا يتعاظم على القائمين، ولكن يخشى أن يدخل نفسه بسبب ذلك ما يحذر، ولما فيه من التشبه بالجبابرة.

والثالث: جائز، وهو أن يقع على سبيل الإكرام لمن لا يريد ذلك ويؤمن معه التشبه بالجبابرة.

والرابع: مندوب، وهو أن يقوم لمن قدم من سفر فرحا بقدومه ليسلم عليه، أو إلى من تجددت له نعمة فيهنئه أو مصيبة فيعزيه[1].

❋ مطلب قطعية الرحم من الكبائر:

قطيعة الرحم من الكبائر فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول:" إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع الرحم"[2].

❋ مطلب في جواب العلماء في كيفية بسط الرزق وتأخر الأجل:

فوائد:

الأولى : ذكر في الأحاديث أن صلة الرحم تبسط الرزق وتنسأ في الأجل[3]. قال النووي رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم: بسط الرزق بتوسيعه وكثرته وقيل بالبركة فيه، وأما التأخر في الأجل فهو الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك.

الثانية: ينبغي للعاقل أن يبادر إلى صلة ذي الرحم الكاشح وان يدفع ما عنده من الضغن والبغضاء، بالإحسان والإعطاء، وأن يقتل الشيطان حقده وحسده بسهام بره وموالاته وتفقده، كما قال تعالى:"ادفع بالتي هي أحسن..."

---

[1] ويسن القيام لأهل الفضل من علم أو صلاح أوشرف، أو نحو ذلك إكراما، لا رياء وتفخيما

[2] نص الحديث كما ورد في صحيح مسلم ج٤ ص١٩٨٨ هو:" تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين، يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مؤمن، الا عبدا بينه وبين أخيه شحناء فيقال اتركوا، او اركوا، هذين حتى يعفيا"

[3] مسلم: صحيح مسلم مجلد٤ ص١٩٨٠

❋ **مطلب بر الوالدين كفارة الكبائر:**

فوائد:

الأولى: قال سيدنا الإمام احمد رضي الله عنه: بر الوالدين كفارة الكبائر. لما رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:" أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: إنني أذنبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة؟ فقال : هل لك من أم" وفي رواية ابن حبان والحاكم" هل لك والدان؟ قال: لا، قال: فهل لك من خالة؟ قال : نعم. قال: فبرها"[1].

الثانية: ينبغي احترام المعلم الذي هو الشيخ وتوقيره والتواضع له، وكلام العلماء في ذلك معروف، وذكر بعض الشافعية أن حقه آكد من حق الوالد، لأنه سبب لتحصيل الحياة الأبدية، والأب سبب لحصول الحياة الفانية، فعلى هذا تجب طاعته وتحرم مخالفته.

فوائد في أشياء من آداب قراءة القرآن

الأولى : تكره القراءة حال خروج الريح، ومع الجنازة جهرا، وحال لمس الذكر، أو الزوجة. وتكره في المواضيع القذرة، واستدامتها حال خروج الريح.

ويكره الحديث عند القرآن بما لا فائدة منه لقوله تعالى:" وإذا قريء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون". وكره الإمام السرعة في القراءة.

وكره الإمام أحمد رضي الله عنه قراءة الألحان وقال هي بدعة؛ لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم. وأباحها أبو حنيفة لأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه.

الثانية: يستحب ترتيل القراءة وإعرابها وتمكين حروف المد واللين من غير تكلف.

الثالثة: من آداب القرآن : إدمان تلاوته، والبكاء فإن لم يكن فالتباكي، وحمد الله عند قطع القراءة على توفيقه ونعمته، وسؤال الثبات والإخلاص، والسواك ابتداء.

---

[1] الهيثمي:موارد الظمآن مجلد٢ ص٨٩٧

والجهر بالقراءة ليلا ونهارا، وان يقرأ بالقراءة المستفيضة لا الشاذة الغريبة. وأن يتحرى قراءته متطهرا، وأن يستقبل القبلة إن كان قاعدا، وان يكثر التلاوة في رمضان. وينبغي أن يكون ذا سكينة ووقار وقناعة ورضا بما قسم الله تعالى.

الرابعة: يسن التعوذ قبل القراءة، وان تركها قبل القراءة فاستوجبه ابن مفلح في آدابه أن يأتي بها ثم يقرأ، لأن وقتها قبل القراءة للاستحباب فلا يسقط بتركها. ويستحب قراءة البسملة في أول كل سورة في الصلاة وغيرها نصا، والمراد سوى براءة فيكره.

الخامسة: قراءة القرآن في المصحف افضل، ليجمع بين فضيلتي الذكر والنظر، فإن النظر في القرآن عبادة. قال ابن الجوزي: وينبغي لمن كان عنده مصحف أن يقرأ فيه كل يوم ولو آيات يسيرة لئلا يكون مهجورا والله اعلم.

السادسة: يستحب ختم القرآن في كل أسبوع نصا لقوله صل الله عليه وسلم: لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما" اقرأ القرآن في كل أسبوع ولا تزيدن على ذلك" رواه ابو داود.

ويكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوما بلا عذر، وحرم ان خاف نسيانه.

❋ مطلب في فضائل الخوف

الخوف واجب على كل مؤمن، وهو واقع بأسباب. فمنهما الخوف بسابق الدين، ومنها حذر التقصير في الواجبات، ومنها خوف الإجلال والتعظيم. وللخوف مناقب ومآثر كثيرة جدا، وهو سوط يسوق المتواني، ويقوم الأعوج، ويرد الشارد، والله الموفق.

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عن النبي صل الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه جل وعلا انه قال:" وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين، إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة"[1].

تم الجزء الأول

ويليه الجزء الثاني

---

[1] الهيثمي: موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان مجلد ٢ ص ١١٢٠ باب الخوف من الله تعالى.

دراسة الجزء الثاني من الكتاب

❋ مطلب تشرع للمرضى العيادة

تسن وتندب للمرضى الزيادة والافتقاد، قال صلى الله عليه وسلم:" من عاد مريضا لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس فإذا جلس اغتمس فيها"[1].

وفي الإقناع عن ابن حمدان عيادة المريض فرض كفاية، ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:"خمس تجب للمسلم على أخيه رد السلام وتشميت العاطس وإجابة الدعوة وعيادة المريض واتباع الجنازة"[2].

❋ مطلب في آداب العيادة

- ينبغي أن تكون من أول المرض، وقيل بعد ثلاثة أيام لفعله صلى الله عليه وسلم رواه ابن ماجة والبيهقي، عن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعود مريضا إلا بعد ثلاث.
- وأن تكون طرفي النهار بكرة وعشيا وتكره وسط النهار.
- عدم إطالة الجلوس عند من تعوده مراعاة لحاله.
- أن يقال للمريض حال العيادة من الدعاء" اللهم رب الناس أذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما" ويدعو للمريض بالعافية والصلاح.

❋ مطلب إذا ترك المورث مالا وعصى به الورثة هل يكون شريكا لهم في المعصية أم لا؟

فالجواب:انه إن كان اكتسب المال من وجه حل وأدى الحقوق المطلوبة منه على الوجه المشروع لم يكن وجه لمشاركة الورثة في معصيتهم بالمال بلا محال. وأما إذا جمعه من حل وحرم ومنع منه الحقوق المطلوبة شرعا فهذا يعذب بنفس الجمع والمنع لا بمصيبة غيره.

---

[1] الهيثمي : موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان ج١ ص٣١٢

[2] مسلم: صحيح مسلم ج٤ ص١٧٠٤

❋ **مطلب في ذكر الأخبار الواردة في أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة.**

ثبت في عدة أخبار أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب. ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم:" إنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة".

قال العلماء رحمهم الله ورضي عنهم في سبب امتناع الملائكة من دخول البيت الذي فيه صورة كونها معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق الله وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله، وأما سبب امتناعهم من البيت الذي فيه كلب فكثرة أكله النجاسات وكون بعض الكلاب يسمى شيطانا.

❋ **مطلب فيما يحل للمكره وما لا يحل**

كل شيء حل للمضطر من أكل الميتة والدم والخنزير ونحوها، فإنه يحله لمكره لقوله صلى الله عليه وسلم :" عفي لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"[1].

واتفق العلماء على أنه لو أكره على قتل معصوم لم يبح له أن يقتله فإنه إنما يقتله باختياره افتداء لنفسه من القتل، فإذا قتله في هذه الحالة فالجمهور على أن المكرِه والمكرَه يشتركان في وجوب القود عليهما لاشتراكهما في القتل وهو قول مالك والشافعي في المشهور وأحمد.

وقيل يجب على المكره وحده لأن المكره صار كالآلة، وهذا قول أبي حنيفة وأحد قولي الشافعي[2].

واختلف العلماء في إكراه الرجل على الزنا فمنهم من قال يصح إكراهه عليه ولا إثم ولا حد عليه وهو قول الشافعي. ومنهم من قال لا يصح إكراهه عليه وعليه الإثم والحد وهو

---

[1] ابو الحسن الحنفي (السندي) : شرح سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٣٠

[2] لأن القصاص يكون على مستعمل الآلة وليس على الآلة، والحجة لهذا القول قوله صلى الله عليه وسلم: "عوفيت عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه". سنن ابن ماجة ج١ ص٦٣٠ كتاب الطلاق

قول أبي حنيفة ومنصوص الإمام أحمد. وأما المرأة فيتأتى الإكراه في حقها فلا إثم ولا حد عليها بالاتفاق.

والإكراه يحصل بالضرب أو الحبس أو أخذ المال أو قطع عضو من أعضائه، وان هدد وتوعد وغلب على ظنه أنهم لا يفعلون به ذلك لم يجز له ان يفعل ما أكرهوه على فعله وكذا لو شتموه أو سبوه.

❋ مطلب أول من اتخذ الملعقة سيدنا إبراهيم عليه السلام

لا بأس بالأكل بالملعقة لما في (الإقناع) وغيره. وذكر الجلال السيوطي في الأوائل أن أول من اتخذ الملعقة سيدنا إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

❋ مطلب ينبغي للآكل أن يجهر بالبسملة لينبه غيره

ينبغي للآكل وكذا الشارب أن يجهر بالبسملة لينبه غيره وليسمع الشيطان ذكر الله فيهرب. وبعد فراغه من الكل والشرب يحمد الله تعالى ويثني عليه ويشكره لما هو أهله الذي أسدى له هذه النعم وسوغ الطعام والشراب حتى حصل له بهما الغذاء.

❋ مطلب الآكل فوق الشبع حرام إلا في موضعين

قال الحنفية الأكل فوق الشبع حرام إلا في موضعين:

أن يأكل فوق الشبع ليتوقى لصوم الغد. الثاني إذا نزل به ضيف وقد تناهي أكله و لم يشبع ضيفه ويعلم انه متى امسك أمسك الضيف فلا بأس أن يأكل فوق الشبع لئلا يصير داخلا في جملة من أساء القرى.

❋ مطلب في بيان الآفات الناشئة عن الشبع

قال الإمام ابن الجوزي في تبصرته : الشبع يوجب ترهل البدن وتكاسله وكثرة النوم وبلادة الذهن وذلك بتكثير البخار في الرأس حتى يغطي موضع الفكر والذكر . والبطنة تذهب الفطنة وتجلب أمراضا عسرة .

ومقام العدل أن لا يأكل حتى تصل الشهوة وأن يرفع يده وهو يشتهي الطعام . ونهاية المقام الحسن قوله صلى الله عليه وسلم " ثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس " .

والآكل على مقام العدل يصح البدن ويعبد المرض ويقلل النوم ويخفف المؤونة ويرقق القلب ويصفيه فتحسن فكرته وتسهل الحركات والتعبدات ويحصل الإيثار.

❋ مطلب في حكم الشراب قائما

في زاد المعاد للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى ورضي عنه : من هديه صلى الله عليه وسلم الشرب قاعدا .وكان هديه المعتاد . وصح عنه انه نهى عن الشرب قائما، وصح عنه أنه شرب قائما، فقالت طائفة : لا تعارض بينهما أصلا. فإنما شرب قائما للحاجة فإنه جاء إلى زمزم وهم يستقون منها فاستقى، فناوله الدلو فشرب وهو قائم. وهذا كان موضع الحاجة.

آفات الشرب قائما:

قال ابن القيّم: وللشرب قائما آفات عديدة منها لا يحصل الري التام به ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء ويتزله بسرعة وحده إلى المعدة . فيخشى منه أن يبرد حرارتها ويسرع النفوذ إلى أسفل البدن بغير تدريج .وكل هذا يضر بالشارب ، فأما إذا فعله نادرا أو لحاجة فلا[1] فوائد :

ذكر بعض الأطباء أنه لا يسوغ شرب الماء طبا في عشرة أشياء:

بعد الطعام . والحمام. والحلوى. والجماع. والتعب. وشرب دواء مسهل. وأكل فاكهة. وإذا استيقظ من النوم. وبعد أكل سخن. والشرب وهو جائع.

❋ مطلب في آداب الضيافة

من آداب المضيف أن يخدم أضيافه ويظهر لهم الغنى والبسط بوجهه فقد قيل البشاشة خير من القرى . وقال علي بن الحسين : من تمام المروءة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا إبراهيم الخليـــل بنفسه وأهله. وأن يحدثهم بما تميل إليه أنفسهم، ولا ينام قبلهم، ولا يشكو الزمان بحضورهم، ويبش عند قدومهم ، ويتألم عند وداعهم.

---

[1] ابن قيم : زاد المعاد ج٣ ص١٣٩.

وأما آداب الضيف فهو أن يبادر إلى موافقة المضيف في أمور . منها أكل الطعام،ولا يعتذر بشبع ، وان لا يسأل صاحب المترل عن شيىء من داره سوى القبلة وموضع قضاء الحاجة. ولا يتطلع إلى ناحية الحريم. ولا يخالف إذا أجلسه في مكان وأكرمه له. ولا يمتنع من غسل يديه .

❋ **مطلب في الأكل ثمانية وعشرون خصلة:**

أربع فريضة: أكل الحلال، والرضا بما قسم الله تعالى، والتسمية على الطعام، والشكر لله سبحانه.

وأربع سنن: أن يأكل بيمينه، ومما يليه، ويغض طرفه عن جلسيه، ويؤثر على نفسه المحتاج.

وعشرون أدب : وهي أن لا يأكل متكئا ولا منبطحا، ولا من وسط الصفحة، ويأكل بثلاث أصابع، ويعلق أصابعه إذا فرغ، ويمسح الصفحة، ويصغر اللقم، ويجيد المضغ، ويطيل البلع، ولا يأكل إلا عند حضور صاحب الطعام، ولا يأكل إلا مطمئنا ويأكل ما ينثر، ويلفظ ما بين أسنانه فيلقيه، ولا ينفخ الطعام، بل يدعه حتى يبرد ولا يتنفس فيه، ويجلس مفترشا، وإن تربع فلا بأس، ويوسع لجليسه، ولا يلقم أحدا معه إلا بإذن صاحب الطعام، ويغسل يده إذا أكل، ويأكل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس".

❋ **مطلب فيمن اشترى سلعة بمال حلال ثم ظهر أنها حرام:**

فقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه عن الرجل يشتري سلعة بمال حلال و لم يعلم أصل السلعة هل هو حرام أو حلال، ثم كانت حراما في الباطن هل يأثم أم لا؟

فأجاب: متى اعتقد المشتري أن الذي مع البائع ملكه فاشتراه منه على الظاهر لم يكن عليه إثم في ذلك. وإن كان في الباطن قد سرقه البائع لم يكن على المشتري الذي لا يعلم إثم ولا عقوبة لا في الدنيا ولا في الآخرة، والضمان والدرك على الذي غره وباعه. وإذا أظهر

صاحب السلعة فيما بعد ردت إليه سلعته، ورد على المشتري ثمنه، وعوقب البائع الظالم. فمن فرق بين من يعلم ومن لا يعلم أصاب ومن لا أخطأ.

❋ **مطلب في بعض مثالب الكبر والعجب:**

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن حارثة بن وهب رضي الله عنه سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول:" ألا أخبركم بأهل النار. كل عتل جواظ مستكبر"[1].

العتل: هو الغليظ الجافي. **والجواظ:** هو المختال في مشيته.

❋ **مطلب مثالب الحسد**

إن أول معصية وقت من الخلق الحسد لما حسد إبليس آدم، ثم حسد قابيل هابيل. والحسد لا يكون إلا على نعمة. ومتى انعم الله على عبد نعمه فاحب أحد أن يكون له مثلها من غير أن تزول عن المحسود، فذلك الحسد يسمى غبطة ولا لوم فيه ولا ذم. وإن أحب زوالها عن المحسود فهذا الحسد المذموم، وصاحبه الملوم الظلوم.

❋ **مطلب معالجة داء الحسد**

إن الآدمي قد جبل على حب الرفعة، فلا يجب أن يعلو عليه أحد في نعمة من نعم الدنيا، فإذا علا أحد عليه شق عليه وأحب زوال ما علا به.

ومعالجة ذلك تارة بالزهد في الدنيا، وأنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، فلا وجه للمنافسة فيها عند العقلاء، وتارة بالرضا بالقضاء، فإنك إن لم ترضى لم تحصل إلا على الندم وفوات الثواب، وغضب رب الأرباب، فهما مصيبتان أو أكثر، وليس للعاقل حيلة في دفع القضاء فعليه بالرضا.

وتارة في النظر فيما يتعلق بتلك النعم من الآفات.

فالحسد يضر الحاسد في الدين والدنيا. أما ضرره في الدين فإن الحاسد قد سخط قضاء الله تعالى فكره نعمته على عباده، وهذا قذى في بصر الإيمان، ويمكن أنه شارك إبليس في الحسد وفارق الأنبياء في حبهم لكل أحد. ثم إن الحسد يحمل على إطلاق اللسان في

[1] مسلم: صحيح مسلم مجلد٤ ص٢١٩٠ رقم الحديث٢٨٥٣ .

المحسود بالشتم والتحليل على أذاه وأما ضرره في الدنيا فإن الحاسد يتألم ولا يزال في كمد.

❋ **مطلب في كراهة النوم بعد الفجر والعصر:**

ويكره نومك أيها المكلف بعد صلاة الفجر لأنها ساعة تقسم فيها الأرزاق فلا ينبغي النوم فيها، وفي الحديث" اللهم بارك لأمتي في بكورها"[1]

ويكره نومك أيضا بعد العصر فإنه يخاف على عقل من نام في تلك الساعة. قال الإمام احمد رضي الله عنه: يكره أن ينام بعد العصر يخاف على عقله. ويستحب نوم القائلة[2]. والقيلولة: الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم.

❋ **مطلب في فوائد من آداب النوم**

- منها أنه يستحب لمن أراد النوم أن يذكر اسم الله عند غلق الباب وطفء المصباح وتغطية الإناء، لما في الصحيحين عن جابر بن عبد الله مرفوعا: إذا استنجح الليل أو كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم وأغلق بابك واذكر اسم الله، وخمر إناؤك واذكر اسم الله.
- ومنها استحباب النوم على طهارة لما روي عن الترمذي والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول:" من آوى الى فراشه طاهرا يذكر اسم الله تعالى حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله عز وجل فيها شيئا من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه"
- ومنها استحباب الاكتحال بالإثمد قبل المنام، لما روى ابن ماجة في سننه عن ابن عمر مرفوعا: " عليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر".

---

[1] رواه ابو داود والترمذي وقال: حديث حسن.

[2] القائلة لغة: النوم في الظهيرة .

- ومنها نفض فراشه عند النوم، ومنها استحباب استقبال النائم بوجهه القبلة، ووضع يده اليمنى تحت خده اليمين، فإن ذلك من سنة خاتم المرسلين وسيد الأولين والآخرين...

❋ **مطلب في ضرب الرجل زوجته تأديبا لها:**

قال العلماء: إذا ظهر من الزوجة إمارات النشور بأن تتشاغل أو تدافع إذا دعاها إلى الاستمتاع أو تجيبه متبرمة متكرهة أو يختل أدبها في حقه، وعظها فإن رجعت إلى الطاعة والأدب حرم الهجر والضرب، وإن أصرت وأظهرت النشور بأن عصته وامتنعت من إجابته إلى الفراش، أو خرجت من بيته بغير إذنه ونحو ذلك هجرها في المضجع ما شاء، وفي الكلام ثلاثة أيام لا فوقها. فإن أصرت و لم ترتدع فله أن يضربها فيكون الضرب بعد الهجر في الفراش وتركها من الكلام ضربا غير مبرح، أي غير شديد يفرقه على بدنها ويجتنب الوجه والبطن والمواضع المخوفة، وذلك بدرة أو مخراق منديل ملفوف.

ويمنع من هذه الأشياء من علم بمنعه حقها حتى يؤديه ويحسن عشرتها. وله تأديبها كذلك على ترك فرائض الله تعالى.

وفي الترغيب وغيره: الأولى تركه يعني ترك الضرب إبقاء للمودة.

❋ **مطلب يختار الرجل زوجة ذات أصل:**

ينبغي للعاقل أن ينظر إلى الأصول فيمن يزوجه أو يتزوج إليه، ثم ينظر بعد ذلك في الصور، فإن صلاحها دليل على صلاح الباطن، أما الأصول فإن الشيء يرجع الى أصله. وبعيد ممن لا أصل له أن يكون فيه معنى مستحسن، فإن المرأة الحسناء إذا كانت من غير بيت متصفين بغير العفاف، فقل أن تكون أمنية.

❋ **مطلب في الكفاءة وأنها معتبرة في خمسة أشياء:**

أحدها: الدين[1]، فلا يكون الفاجر والفاسق كفؤا لعفيف عدل.

---

[1] المراد به هنا التقوى والصلاح لقوله تعالى:" أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون" سورة السجدة آية ١٨ .

الثاني: المنصب وهو النسب، فلا يكون الأعجمي وهو ليس من العرب كفؤا لعربية.

الثالث: الحرية، فلا يكون العبد ولو مبعضا كفؤا لحرة ولو عتيقة.

الرابع: الصناعة، فلا يكون صاحب صناعة دنيئة كحجامة، وحياكة، وزبال، وكساح كفؤا لبنت من هو صاحب صناعة جليلة كالتاجر والبزار وصاحب العقار.

الخامسة: اليسار بمال بحسب ما يجب لها من المهر والنفقة، فلا يكون المعسر كفؤا لموسرة[1]. ويحرم تزويجها بغير كفء إلا برضاها ويفسق به الولي، ويسقط خيارها بما يدل على الرضا من قول أو فعل . وأما الأولياء فلا يسقط إلا بالقول، ولا تعتبر هذه الصفات في المرأة فليست الكفاءة شرطا في حقها للرجل.

❋ مطلب النكاح مأمور به شرعا مستحسن وضعا وطبعا

النكاح مأمور به شرعا،مستحسن وضعا وطبعا، فإن به بقاء النسل، وعمار الدنيا، وعبادة الله، والقيام بالأحكام، وذكر الله من الصلاة والزكاة والحج والتوحيد والصيام، وقد أمر الله شأنه به في كتابه القديم، وحض عليه رسوله الكريم. قال في محكم كتابه العظيم:" وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم"[2]

ثم إنه من حيث هو يعتريه من الأحكام الخمسة أربعة، فيسن لذي شهوة ولا يخاف الزنا ولو فقيرا، واشتغاله به أفضل من التخلي لنوافل العبادة، ويباح لمن لا شهوة له، ويجب على من يخاف الزنا من رجل وامرأة علما أو ظنا، ويقدم حينئذ على حج واجب، نص عليه الإمام أحمد رضي الله عنه، ويحرم بدار حرب إلا لضرورة، فإن كانت لم يحرم، وقيل أن النكاح لغير ذي شهوة مكروه لمنع من سروجها من التحصين بغيره، وأضرارها بحبسها على نفسه، وتعريض نفسه لواجبات وحقوق لعله لا يقوم بجميعها، ويشتغل عن العلم والعبادة بما لا فائدة فيه.

---

[1] ويستدل على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم:" إن حساب الناس فيما بينهم في هذه الدنيا في هذا المال" البيهقي: السنن الكبرى(٧ / ١٣٥).

[2] سورة النور: آية رقم ٣٢.

❋ مطلب في ذم العزوبية وأن الزواج من أسباب الرزق

قال الإمام أحمد رضي الله عنه : ليست العزوبية من أمر الإسلام في شيء. وقد جاءت الأخبار وصحت الآثار عن المختار والصحابة الأخيار بالحث على النكاح والترغيب فيه فقد روى ابن ماجة عن أنس مرفوعا:" من أراد أن يلقى الله طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر".

وورد في الأخبار أن الزواج من أسباب الرزق. فروى الخطيب في تاريخه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا :" تزوجوا النساء فإنهن يأتين بالمال".

❋ مطلب ينبغي للعاقل أن لا يضيع أوقاته سدى

ففي وصية الإمام الموفق ابن قدامه طيب الله روحه ما لفظه: فاغتنم رحمك الله حياتك النفيسة، واحتفظ بأوقاتك العزيزة، واعلم أن مدة حياتك محدودة وأنفاسك معدودة، فكل نفس ينقص به جزء منك، والعمر كله قصير، والباقي منه هو اليسير، وكل جزء منه جوهرة نفيسة لا عدل لها، ولا خلف منها ، فإن بهذه الحياة اليسيرة خلود الأبد في النعيم، أو العذاب الأليم... فلا تضيع جواهر عمرك النفسية بغير عمل، ولا تذهبها بغير عوض، واجتهد أن لا يخلو نفس من أنفاسك إلا في عمل طاعة أو قربة تقترب بها. فإنك لو كانت معك جوهرة من جواهر الدنيا لساءك ذهابها فكيف فرط في ساعاتك وأوقاتك. وكيف لا تحزن على عمرك الذهاب بغير عوض[1].

قال سيدنا عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر.

وكتب إلى أبي موسى: حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة.

---

[1] يقول صلى الله عليه وسلم:"اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك". المناوي: فيض القدير الجامع الصغير المجلد الثاني ص١٦ .

❋ **مطلب التقرب بترك الشهوات وهجر اللذات فيه فوائد:**

وفي التقرب بترك الشهوات وهجر اللذات فوائد: **منها كسر النفس فإن الانهماك** في اللذات من الأكل والشرب ومباشرة النساء حمل النفس على الأشر والبطر والغفلة، **ومنها تخلي القلب للفكر والذكر**، فإن تناول الشهوات والانهماك في اللذات، قد يقسي القلب ويعميه ويحول بين العبد وبين الذكر والفكر ويستدعي الغفلة، وخلو الباطن من الطعام والشراب ينور القلب ويوجب رقته ويزيل قسوته، **ومنها الاشتغال بما هو أهم منها من دراسة العلم والإمعان في تفهمه**، وتعلمه وتعليمه، **ومنها الإعراض والنزاهة عن اشتغال القلب** بما هو صائر إلى النجاسة فكلما أكثر من ذلك كان حمله للنجاسة أكثر. ولما كان الغالب ممن يطيع هواه وشهوته وغضبه أنه لا يقف فيه على حد.... فينبغي للعاقل أن يتمرن على دفع الهوى المأمون العواقب، ليتمرن بذلك على ترك ما تؤذي عواقبه. وليعلم اللبيب أن مدمني الشهوات يصيرون إلى حالة لا يلتذون بها وهم مع ذلك لا يستطيعون تركها، لأنها صارت عندهم بمنزلة العيش الذي لا بد لهم منه.

وليعلم العاقل المؤمن أن الهوى حظار جهنم المحيط بها حولها، فمن وقع فيه وقع فيها، كما في الصحيحين عن النبي صل الله عليه وسلم:" حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات"[1].

❋ **مطلب فوائد الذكر**

وقد ذكر الإمام المحق ابن القيم للذكر أكثر من فائدة، منها طرد الشيطان وقمعه، وأنه يرضي الرحمن ويزيل الهم والغم عن القلب، ويجلب له الفرح والسرور ويقوي البدن والقلب، ويجلب الرزق، ويكسي الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة، ويورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة، فقد جعل الله لكل شيء سببا، وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره، فالذكر باب المحبة وطريقها الأعظم، وصراطها الأقوم، ويورث الذكر الذاكر المراقبة حتى

[1] مسلم: صحيح مسلم مجلد٤ ص ٢١٧٤ رقم الحديث(٢٨٢٢)

يدخله في باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه، ويورثه الإنابة وهي الرجوع إلى الله والقرب منه، ويفتح له بابا عظيما من أبواب المعرفة، ويورثه الهيبة لربه وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله بخلاف الغافل، وحياة القلب.

ويستحب لكل أحد أن يديم الذكر في جميع الأحيان، وأن يكون في حال ذكره على أكمل الأحوال وأتمها، متطهرا من الحدثين، خاشعا حاضرا القلب، وينبغي أن يكون المحل الذي يذكر الله تعالى فيه خاليا من القاذورات فإنه أبلغ في احترام الذكر، فلذلك كانت الطهارة والنظافة معتبرة في مجلس الذكر ومحله.

❋ مطلب من المكلف أن يحافظ على أداء الفروض المفروضة بأوقاتها

طلب من المكلف أن يحافظ على أداء الفروض المفروضة بأول وقتها لقوله تعالى:" أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل"[1]

والمعتمد في المذهب الحنبلي كفر تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يتضايق وقت الثانية عنها ولو كسلا وتهاونا بشرط الدعاية من إمام أو نائبه. وعند الآجري من أئمة أصحابنا لا تعتبر الدعاية وأنه يقتل بعد الاستتابة ثلاثة أيام بلياليها كفرا ويصنع به كسائر الكفار من مواراة جثته، ولا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في قبور المسلمين.

وطلب من المكلف أيضا أن يأخذ بنصيب وافر من صلاة الليل، قال تعالى:(ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)[2].

وانما فضلت صلاة الليل على صلاة النهار لأنها أبلغ في الأسرار وأقرب إلى الإخلاص، ولأنها أشق على النفوس، فإن الليل محل النوم والراحة من التعب بالنهار. فترك النوم مع ميل النفس إليه مجاهدة عظيمة.

---

[1] سورة الإسراء: آية رقم ٧٨.

[2] سورة الإسراء: آية رقم ٧٩.

❋ **مطلب آداب الدعاء**

ومد أيها الداعي في دعائك إليه سبحانه وتعالى راحتك وتضرع إليه، قال صلى الله عليه وسلم:" إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها".

وينبغي لك أن تتحرى المأثور عن منبع الهدى وينبوع النور فمن المأثور ما ورد في الصحيحين" كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال: اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت"[1].

وينبغي أن يتحرى بدعائه أوقات الإجابة وأحوالها وأماكنها، كليلة القدر، ويوم عرفة، وشهر رمضان، وليلة الجمعة ويوم الجمعة، وساعة الجمعة، وهي ما بين أن بين أن يجلس الإمام إلى أن يقضي الصلاة، أو عند قراءة الفاتحة حتى يؤمن. واختار الإمام أنها آخر ساعة من يوم الجمعة.

وكجوف الليل ، ونصفه الثاني وثلثه الأول، وعند النداء بالصلاة، وبين الأذان والإقامة .. وأما أماكن الإجابة فهي المواضع المباركة كالمساجد الثلاثة.

❋ **مطلب في النهي عن طلب العلم للرياء وإخلاص النية فيه لله تعالى**

العلم هو أرفع المطالب وأسنى المناقب، وهو سلم المعرفة، وطريق التوفيق لنيل الخلود في دار الكرامة.

وطلب العلم إنما ينفع حيث النية وكان لله تعالى لا لدنيا يصيبها، لذا فقد حذر صاحب غذاء الألباب من طلبه لأجل المال، أو الرياء والسمعة، فيحصل الطالب على الخسران وتضمين التبعة.

---

[1] مسلم: صحيح مسلم مجلد١ ص٥٣٢ رقم١٩٩.

ونقل عن الإمام أحمد أنه قال: طلب العلم أفضل الأعمال لمن صحت نيته، قيل فأي شيء تصحيح النية؟ قال: ينوي أن يتواضع فيه وينفي عنه الجهل. ولما كان المقصود من العلم العمل، فمن تركه لم ينل إلا الخيبة والوجل، والندامة والخجل.

❋ مطلب في لزوم التوبة شرعا

التوبة في اللغة الرجوع إلى الله تعالى. وفي العرف الندم على ما مضى من المعاصي والذنوب. والعزم على تركها دائما لله عزّ وجل لا لأجل نفع الدنيا أو أذى الناس. وأن لا يكون على إكراه أو إلحاء. بل اختيار حال التكليف. وقيل يشترط مع ذلك قوله اللهم إني تائب إليك من كذا وكذا. واستغفر الله.

قال ابن الجوزي: واعلم أن التوبة ندم يورث عزماً وقصداً، وعلامة الندم طول الحزن على ما فات. وعلامة العزم والقصد التدارك لما فات وإصلاح ما يأتي.

وتوبة التائب إما أن تكون لله أو لحق آدمي. والأول إما أن يكون بترك واجب يمكن استدراكه وقضاؤه، فلا بد مع التوبة من قضاء تلك العبادة حيث قدر بأي وجه أمكن. والثاني إن كان حق آدمي محض، فلا بد مع التوبة من رد كل مظلمة لأهلها من مال ونحوه، وتمكين ذي القصاص منه على الوجه المشروع.

قال القرطبي في تفسيره: فإن كان الذنب من مظالم العباد فلا تصح التوبة إلا برده إلى صاحبه والخروج عنه- عَيناً كان أو غيره- ان كان قادراً عليه فإن لم يكن قادراً عليه فالزم أنه يؤديه إذا قدر في أعجل وأسرعه[1].

فالتوبة واجبة على كل أحدكم جميع الذنوب كبيرها وصغيرها، وأن الذنوب ثلاثة أقسام: ترك واجب فعليك أن تقضيه أو ما أمكنك فيه، أو ذنب بينك وبينه تعالى كشرب الخمر فتندم عليه وتوطن القلب على عدم العود إليه أبدا، أو ذنب بينك وبين العباد فلا بد من رد كل مظلمة لأهلها من مال ونحوه، فإن لم يقدر على شيء من ذلك فليكثر من الحسنات. قال تعالى:(... وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون...)[2].

---

[1] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن المجلد التاسع (١٨) ص ١٣٠ .

[2] سورة النور : آية رقم ٣١

وبهذه الأمور والمباحثات المذكورة وغيرها كثير مما أغفلناه لداعي الاختصار، جاء هذا الكتاب بجزأيه من أجمع ما كتب في موضوعاته لما حواه من النوادر والفوائد والحكايات اللطيفة والمسائل الدقيقة والمباحث الواسعة المتعلقة بالآداب والأحكام الفقيهة.

وبهذا الجهد والعمل اكتملت الفائدة من هذا الكتاب الذي يعد غذاءً للقلوب كما سماه صاحبه، فقد برزت فيه جوانب المؤلف الفكرية والثقافية والعلمية إلى جانب شموله لمباحث فقهية هامة تتعلق بالعبادات والمعاملات والأحوال الشخصية، وبالجملة فهو كتاب مفيد في فنه بديع في نسجه عظيم في بابه، فجزى الله عالمنا خير الجزاء، وطوبى لمن سار على هديه من العلماء والمصلحين من أمة الإسلام.

أهم مراجع البحث

١. **القرآن الكريم**.

٢. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي** الكبير، دار المعرفة، بيروت.

٣. ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد في هدى خير العباد**، نشر: دار الفكر، بيروت.

٤. أبو الحسن الحنفي (السندي)، **شرح سنن ابن ماجة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥. أبو بكر الهيثمي، الحافظ نور الدين علي، **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**، حققه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط ومحمد رضوان العرقسوسي، نشر: مؤسسة الرسالة، ط:١، سنة ١٤١٤ هـ-١٩٩٣م، بيروت.

٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، المكتبة الإسلامية، استانبول – تركيا، سنة ١٩٧٩.

٧. البستي، محمد بن حبّان، **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٨. البيهقي، أحمد بن حسن، "**السنن الكبرى**"، ط١، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٤٤هـ.

٩. جميل الشطي، **مختصر طبقات الحنابلة**، دمشق، ١٣٣٩هـ، مطبعة الترقي.

١٠. القرطبي، محمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، الطبعة الثانية، سنة ١٩٥٢م.

١١. محمد السفاريني، **غذاء الألباب شرح منظومة** الآداب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٢. المرادي، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، بيروت، سنة ١٩٨٨، ط٣.

١٣.مسلم (الإمام مسلم بن الحجاج): **صحيح مسلم**، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، السعودية، سنة ١٤٠٠هـ.

١٤.المناوي، محمد المدعو بعبد الرءوف، **فيض القدير شرح الجامع** الصغير، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.

١٥.المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، **الترغيب والترهيب في الحديث الشريف**، دار الفكر، ط: سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.